

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى امْتِنَانَهُ بِالْإِيجَادِ ثُمَّ بِالرِّزْقِ الْمَفْضَّلِ فِيهِ، ذَكَرَ امْتِنَانَهُ بِمَا يَقُومُ بِمَصَالِحِ الْإِنْسَانِ مِمَّا يَأْنِسُ بِهِ وَيَسْتَنْصِرُ بِهِ وَيَخْدُمُهُ، وَإِنْعَامَهُ بِكُلِّ مَا تَقُومُ بِهِ حَيَاتِهِ مِنْ مَطْعَمٍ طَيِّبٍ، وَمَشْرَبٍ عَذْبٍ، وَمَلْبَسٍ حَسَنٍ؛ فَذَلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ الْإِلَهِ الصَّانِعِ الْمُهِمِّ الْمُدَبِّرِ الْمُتَصَرِّفِ فِي اعْتِقَادِ كُلِّ مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ، وَأَمَعْنَ نَظَرَهُ⁽¹⁾.

أَنْعَمَ سُبْحَانَهُ
بِالْإِيجَادِ، وَوَهَبَ
الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بَنِينَ﴾: أَصْلُ الْإِبْنِ بَنُو⁽²⁾، وَمَصْدَرُهُ: الْبُنُوَّةُ؛ فَيُقَالُ: ابْنُ بَيْنِ الْبُنُوَّةِ، وَالنَّسَبَةُ إِلَيْهِ: بَنَوِي⁽³⁾، وَالْجَذَرُ يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ يَتَوَلَّدُ عَنْ الشَّيْءِ⁽⁴⁾، وَمَعْنَاهُ الْمَحُورِيُّ يَدُورُ حَوْلَ زِيَادَةٍ قَوِيَّةٍ تَنْشَأُ لِلشَّيْءِ فَتَقِيْمُهُ وَتَمُدُّهُ؛ فَمِنْ هَذَا الْإِبْنِ؛ إِذْ هُوَ امْتِدَادٌ لِأَبِيهِ، وَنَاشِئٌ مِنْهُ، وَيَمُدُّ ذَرِيَّتَهُ وَيَقِيْمُهَا⁽⁵⁾.

(2) ﴿وَحَفَدَةً﴾: الْحَفْدُ: الْخَفَّةُ وَالسَّرْعَةُ فِي الْعَمَلِ وَالْخِدْمَةِ⁽⁶⁾، وَالْأَصْلُ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الْخَفَّةِ فِي التَّجَمُّعِ⁽⁷⁾، فَالْحَفْدَةُ: الْأَعْوَانُ

(1) الفخر الزاوي، مفاتيح الغيب: 20 / 242، وابن عادل، اللباب: 12 / 116، والبقاعي، نظم الدرر: 11 / 206 - 207، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 213 - 214.

(2) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، اللقائيس، والراغب، المفردات: (بنو).

(3) الخليل العبن، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، اللقائيس: (بنو).

(4) ابن فارس، اللقائيس: (بنو).

(5) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤصل: (بنو).

(6) الخليل، العبن، والأزهري، التهذيب: (حفد).

(7) ابن فارس، اللقائيس: (حفد).

وَالْخَدَمَ⁽¹⁾؛ لَأَنَّهُ يَجْتَمِعُ فِيهِمُ التَّجَمُّعُ وَالتَّخَفُّفُ وَالسَّرْعَةُ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعَوْنُ⁽²⁾،
وَوَاحِدُهُمْ حَافِدٌ⁽³⁾.

(3) ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾: الطَّيِّبُ: خِلَافُ الْخَبِيثِ⁽⁴⁾، وَأَصْلُهُ: مَا تَسْتَلْذُهُ الْحَوَاسُّ وَالنَّفْسُ،
وَالطَّعَامُ الطَّيِّبُ فِي الشَّرْعِ: مَا كَانَ مُتَنَاوِلًا مِنْ حَيْثُ مَا يَجُوزُ، وَبِقَدْرِ مَا يَجُوزُ، وَمِنْ الْمَكَانِ
الَّذِي يَجُوزُ⁽⁵⁾، وَالطَّيِّبُ مِنَ الْإِنْسَانِ: مَنْ تَعَرَّى مِنْ نَجَاسَةِ الْجَهْلِ وَالْفُسْقِ وَقَبَائِحِ الْأَعْمَالِ،
وَتَحَلَّى بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ⁽⁶⁾.

(4) ﴿أَفْبَالٍ بَاطِلٍ﴾: الْبَاطِلُ: نَقِيضُ الْحَقِّ⁽⁷⁾، وَالشَّيْءُ الرَّائِلُ، وَمَا لَا ثَبَاتَ لَهُ عِنْدَ
الْفَحْصِ عَنْهُ، وَيُقَالُ ذَلِكَ بِالْإِعْتِبَارِ إِلَى الْمَقَالِ وَالْفِعَالِ⁽⁸⁾، وَسُمِّيَ الشَّيْطَانُ الْبَاطِلَ؛ لِأَنَّ
كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ بَاطِلٌ⁽⁹⁾، وَجَمْعُ الْبَاطِلِ: بُوَابِلٌ⁽¹⁰⁾، وَأَصْلُهُ يَدُلُّ عَلَى ذَهَابِ الشَّيْءِ وَقِلَّةِ مَكْتَنِهِ
وُثْبَتِهِ⁽¹¹⁾؛ يُقَالُ: بَطَلَ الشَّيْءُ يَبْطُلُ بَطْلًا وَبُطُولًا وَبُطْلَانًا: ذَهَبَ ضِياعًا وَخُسْرًا⁽¹²⁾، وَذَهَبَ
دَمُهُ بَطْلًا؛ أَيِ: هَدْرًا؛ وَذَلِكَ إِذَا قُتِلَ وَلَمْ يُؤْخَذْ لَهُ بَثْرٌ وَلَا دِيَّةٌ⁽¹³⁾، وَالْبَطْلَةُ: السَّحَرَةُ، وَهَذَا
اللَّفْظُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَبْطَلَ؛ أَيِ: جَاءَ بِالْبَاطِلِ⁽¹⁴⁾، وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿أَفْبَالٍ بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾
يَعْنِي: الْأَصْنَامَ⁽¹⁵⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ أَيُّهَا الرِّجَالُ مِنْ جِنْسِ أَنْفُسِكُمْ نِسَاءً؛ لِتَحْقِيقِ الْأَنْسِ وَالْإِنْسِجَامِ

(1) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْجَوْهَرِيُّ: الصَّحَاحُ، وَابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ: (حَفَد).

(2) ابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ: (حَفَد).

(3) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ: (حَفَد).

(4) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ: (طَيْب).

(5) الرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (طَيْب).

(6) الرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (طَيْب).

(7) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَالرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (بَطْل).

(8) الرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (بَطْل).

(9) ابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ: (بَطْل).

(10) الْأَزْهَرِيُّ، التَّهْذِيبُ: (بَطْل).

(11) ابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ: (بَطْل).

(12) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَالْأَزْهَرِيُّ، التَّهْذِيبُ، وَالْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ: (بَطْل).

(13) الْجَوْهَرِيُّ، الصَّحَاحُ، وَابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِيْسُ، وَالرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (بَطْل).

(14) ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ: (بَطْل).

(15) لِلْمَآوَرِدِيِّ، النُّكْتُ وَالْعَيُونُ: 3/ 203، وَابْنُ الْبُغَوِيِّ، مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ: 5/ 32، وَالْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: 10/ 145.

مِن عَظِيمِ النَّعْمِ
وَالْمَنِّ وَالْأَلَاءِ
أَنْ وَهَبْنَا اللَّهُ
الْأَزْوَاجَ وَالْحَفَدَةَ
وَالْأَبْنَاءَ

والإتلاف وقضاء المصالح، وجعل لكم من نسائكم بنين وأبناء بنين، ورزقكم من لذيذ المطاعم والمشارب ما تنتفعون به إلى أقصى الحدود وأبعد الغايات، أفبعد هذه النعم يشرك به بعض الناس؟ فيؤمنون بالشَّيْطَانِ وعبادة الأصنام، ويجحدون نِعَمَ اللَّهِ المتعدِّدة التي تستحقُّ الشُّكْرَ والثناء؟⁽¹⁾

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلَدِيُّ:

بلادة عطف الآية على ما تقدَّمها:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ﴾ معطوفٌ على الآية التي قبله، وهو استدلالٌ ببديع الصُّنْعِ في خَلْقِ النَّسْلِ إِذْ جُعِلَ مَقَارِنًا لِلتَّائُسِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، إِذْ جَعَلَ النَّسْلَ مِنْهُمَا وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَفَارِقًا لِأَحَدِ الْأَبْوَيْنِ أَوْ كِلَيْهِمَا⁽²⁾، وقد حَسَّنَ الوصلَ هنا - دون الفصل - ما بين الآيتين الكريميتين من المناسبة، فكلتاها خبريَّةٌ مبدوءةٌ بالاسم العظيم الجليل، وكلُّ منهما تبيِّنُ صورةً من صور إنعام الله تعالى على عباده، وصورةً من صور قهر سلطانه لهم، وعلوِّه عليهم، وليس ثمَّ ما يدعو للفصل بينهما.

غرض إظهار لفظ الجلالة في ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ﴾:

عُبرَ بلفظ الجلالة دون الإضمار في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ﴾ - فلم يُقَلْ مثلاً: (وهو الَّذِي جَعَلَ...) وهو مقتضى الظاهر - لقصد التَّنْوِيهِ بالخبر إِذْ افْتُتِحَ بهذا الاسم، ولأنَّ دلالة الاسم العلم أوضح وأصرح، فهو مُقتضى مقام تحقيق الانفراد بِالخَلْقِ والإنعام دون غيره من شركائهم، ولأجل أنَّ مقام الاستدلال بدقائق الصُّنْعِ وعجائب الخَلْقِ يقتضي تكرير اسم المستدلِّ على إثبات صفاته تصريحًا واضعًا⁽³⁾.

بديع صنْعِ الله
وإنعامه بجعل
النَّسْلِ مَقَارِنًا
لِلزَّوْجَيْنِ

دلالة الاسم
العلم أوضح
وأصرح

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 295، والبغوي، معالم التنزيل: 5/ 31، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 234/ 3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 217.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 198، 217.

الله العليُّ ذو
السُّلطان الأعلى
هو وحده المنعم
بجعل الأزواج
والبنين

للتفَضُّل بأصناف
النَّعم وإن
تنوَّعت هو الله
وحده

كلُّ نعمةٍ
دليلٌ على
عَظَمَةِ المنعم
واستحقاقه
للعبودية
وتفَرُّده بالرُّبوبيَّة

في الجَعْل
معنى التَّحوِيل
والتَّصْيِير، وفي
الخَلْق معنى
التَّقدير

غرض التقديم في ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ﴾:

قُدِّم المسند إليه - وهو لفظ الجلالة - على المسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ﴾ لإفادة التَّخصيص، أي الله لا غيره جَعَلَ لكم من أنفسكم أزواجًا، وذلك في معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الروم: 40⁽¹⁾].

فائدة التذكير بهذه النعمة بعد التفضيل في الرِّزْق:

ذَكَرَ الله تعالى عباده بنعمة الأزواج والذُرِّيَّة بعدما ذَكَرَ تعالى امتنانه بالإيجاد ثمَّ بالرزق المفضَّل فيه؛ لأنَّ الأزواج والذُرِّيَّة ممَّا يقوم بمصالح الإنسان وممَّا يأنس به ويستنصر به ويخدمه⁽²⁾.

بلاغة الإدماج في التذكير بالنعم من خلال نعمة الزوجية والبنين:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ بيانٌ لنوع آخر من أحوال النَّاسِ، ذَكَرَهُ الله تعالى ليستدلَّ به على وجود الإله المختار الحكيم، وليكون ذلك تنبيهًا على إنعام الله تعالى على عبده بمثل هذه النعم⁽³⁾، فهو بيانٌ لدلائل الانفراد بالخلق وقد أدمج فيه التذكير بالنعم، فكلُّ نعمةٍ مذكَّرةٌ بها في الآية هي بمنزلة الدليل على عظمة مَنْ أنعم بها واستحقاقه للعبودية، وتفَرُّده بالرُّبوبيَّة، فهذه مِنَّةٌ مِنَ الْمَنِّ وَعِبْرَةٌ مِنَ الْعِبَرِ وَحُجَّةٌ مِنَ الْحُجَجِ الْمُتَفَرِّعَةِ عَنْ التَّذْكِيرِ بنعم الله والاعتبار بعجيب صنعهِ⁽⁴⁾.

نكتة التعبير بالجعل دون الخلق:

في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ عبَّرَ بالجعل دون الخلق لما في الجعل من معاني التَّصْيِير والتَّحوِيل⁽⁵⁾،

(1) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 66، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 197.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 564.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 20/ 244.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 197.

(5) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وجبل، الاشتقاق: (جعل).

ولما في الخلق من معاني التقدير والإبداع من غير أصل ولا احتذاء⁽¹⁾.

بلغة المتشابه اللفظي مع آيات أخرى:

قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

تلاهم كل تعبير
مع سياقه،
وتناسب مع
سباقه ولحاقه

وقال ﷻ في سورة الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ﴾ [الروم: 21].

وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

يلاحظ أولاً: أن آية سورة الروم تفرّدت بالتعبير بالخلق، فجاء فيها: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: 21]، وجاء التعبير في الآيتين الأخريين بالجعل، ويلاحظ ثانياً: أن آية سورة النحل تفرّدت بذكر الذرية، فجاء فيها: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ ولم يذكر هذا في الآيتين الأخريين، ويلاحظ - ثالثاً - أن كل آية من الآيات الثلاث قد دُيِّلت بختام تميّزت به عن الأخريين، فهذه مسائل ثلاث في البحث في علّة الاختلاف والتشابه بين الآيات الثلاث، وما تفرّدت به كل واحدة منها، وبيان ذلك فيما يأتي:

المسألة الأولى: تفرّدت آية سورة الروم بالتعبير بالخلق؛ ذلك أن سياقها جاء مسبقاً وملتواً بالكلام عن الخلق والإحياء، قال

(1) الراغب، المفردات: (خلق).

تعالى قبلها ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الروم: 19]، وقال بعدها: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: 22]، فناسبه التعبير بالخلق.

أما آية سورة النحل فإنها وردت في سياق بيان نعمة الله تعالى على عباده بأن كفل لهم أرزاقهم، وأخرجها لهم من أشياء خلقها وأوجدها لهذه العلة، فمعنى الجعل والتصيير في هذا السياق أظهر.

أما آية الشورى فسياقها ينضح بالإنكار على مَنْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أولياء، وجاء ذلك في غير آية، ومنه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِیْظٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الشورى: 6]، فلَمَّا كان الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ تعالى أولياء إِنَّمَا جعلوا المخلوق إلهاً يعبدونه من دون الله، فكان من المناسب أن يذكرهم الله تعالى بضعفهم وفقرهم وحاجتهم إلى أزواج وإلى طعام؛ فلذلك أخبرهم الله تعالى أَنَّهُ سبحانه جعل لهم أزواجاً من أنفسهم.

المسألة الثانية: تفرَّدت آية سورة النحل بذكر الذرية لأن سياقها وسباقها ولحاقها كان دائراً حول ما أنعم الله تعالى به على عباده، وما رزقهم به ممَّا تقوم به حياتهم، حيث أنزل لهم من السماء ما يشربون، فناسب أن يُذكر الذرية في هذا السياق إذ هي زينة الحياة الدنيا، وهي من الهبات العظيمة التي جعل الله القلوب تهفو إليها، ولم يكن الأمر كذلك في سياق الآيتين الأخريين، فجاء مع كل سياق بما يناسبه.

المسألة الثالثة: في ختام كل آية بما يناسبها، خُتِمَت آية النحل بقوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ لأن سياقها في بيان ما أنعم الله به على عباده، وخُتِمَت آية الروم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21]؛ لأن في خلق الأزواج عدداً من الآيات التي ينبغي الوقوف عندها لتأملها، وخُتِمَت آية الشورى بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]؛ لأن سياق الآيات كان في الإنكار على مَنْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أولياء ممَّا لا يستحقُّ العبادة، بل يفترق في وجوده إلى مَنْ يُطعمه ويسقيه، ويفترق في بقاء نوعه إلى زوج من جنسه للتناسل، ولَمَّا كان الله المعبود بحقٍّ منزهاً عن هذا كان الختام بنفي المثلية.

معنى اللَّام ودلالاتها في ﴿لَكُمْ﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾ هي لتعديّة فعل (جَعَلَ) إلى مفعول به ثانٍ⁽¹⁾، ويجوز فيها كذلك أن تكون للاختصاص والتعليل؛ أي: خَلَقَ اللهُ أَزْوَاجًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِأَجْلِكُمْ؛ أي: لأجل سكونكم إليها واستئناسكم بها، وتناسلكم منها بنين وحفدة.

امتنان الله
بخلق الأزواج
لأجل الإنسان

غرض تقديم شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾:

قُدِّمَ شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾ على المفعول به ﴿أَزْوَاجًا﴾ وغيره من مُتَعَلِّقاتِ الفعل؛ لأنَّ المقصود من ذكر جعل (الأزواج) نِعْمًا منه سبحانه على النَّاسِ هو تَعُمُّهُمُ هُمْ بها، وانتفاعهم هُمْ بها، لا كونها مجمولة ومخلوقة، ولما كانت القاعدة في تقديم بعض الكلام على بعض هي أن يُقَدِّمَ الأهمُّ فالأهمُّ، وكان كون الأزواج لهم أهمُّ من كونها من أنفسهم؛ قُدِّمَ شبه الجملة.

قُدِّمَ ما كان
أهمَّ، والعناية
به أتمَّ

دلالة حرف الجرّ في ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾:

﴿مِنْ﴾ الدّاخلة على ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ للتّبعية؛ إذ كلُّ فردٍ من أفراد الإنسان لا يتزوَّج إلاّ بعض النّساء، فيكون المعنى: والله جعل لكم من بعضكم أزواجًا، فتكون المنة من الله تعالى شاملةً لجميع بني الإنسان ذكورًا وإناثًا⁽²⁾.

منّة الله لبني
الإنسان شاملة،
ونعمته عليهم
كاملة

معنى الأنفسيّة في قوله ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾:

معنى (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) في قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: من نوعكم في الجنس والشّكل إناثًا أزواجًا لتأنسوا بهنَّ، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: 61] أي: على النَّاسِ الَّذِينَ بِالْبُيُوتِ⁽³⁾، وفي هذا

الجنس إلى
الجنس آنس
وأسكن،
ومحبّته في
القلب أمكن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217/14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217/14.

(3) الخازن، لباب التأويل: 89/3، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 217/14.

نِعْمَةٌ وَفَضْلٌ كَبِيرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ أَلْفَ لِنَوْعِهِ وَأَقْرَبُ إِلَى جِنْسِهِ⁽¹⁾.

غرض تقديم قوله ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾:

تخصيص
النَّعْمَةِ نِعْمَةً

قُدِّمَ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ﴿أَزْوَاجًا﴾ لِّلْاهْتِمَامِ وَالتَّخْصِيسِ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ فِي سِيَاقِ تَعْدَادِ النُّعْمِ، وَكَوْنِ الْأَزْوَاجِ مِنْ نَوْعٍ وَجِنْسٍ الْبَشَرِ نِعْمَةً زَائِدَةً عَلَى مَجْرَدِ نِعْمَةٍ جَعَلَ الْأَزْوَاجَ.

غرض تنكير ﴿أَزْوَاجًا﴾:

لكلِّ راغب في
الزَّوْجِ فُرْصَةً
في الاختيار من
متعدّد

جَاءَتْ كَلِمَةُ ﴿أَزْوَاجًا﴾ نَكْرَةً، لِّلتَّدْلِيلِ عَلَى الْكَثْرَةِ؛ أَي: جَعَلَ لَكُمْ أَزْوَاجًا كَثِيرَةً، فَلكلِّ رَاغِبٍ فِي الزَّوْجِ فُرْصَةٌ فِي الْاِخْتِيَارِ مِنْ مُتَعَدِّدٍ.

بلاغة عطف ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾:

من عظيم
إنعام الله توليد
النَّعْمَةِ مِنْ
نِعْمَةٍ قَبْلَهَا

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا أَمَّنَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ جَعْلِ أَزْوَاجٍ لَهُمْ، وَلَا تَخْفَى مَنَفَعَتُهُمْ وَتَتَعَمُّهُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ مِنْ جِهَةِ التَّمَتُّعِ، عَطَفَ نِعْمَةً أُخْرَى مُتَعَلِّقَةً بِهَا وَهِيَ نَتِيجَةُ لَهَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَيْنَ وَحَفَدَةً﴾؛ حَيْثُ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ جَعَلَ مِنَ الْأَزْوَاجِ الْبَنِينَ وَالْحَفَدَةَ، وَهُمْ أَوْلَادُ الْبَنِينَ⁽²⁾.

سرُّ إضمار لفظ الجلالة:

لفظ الجلالة
وإن أُضْمِرَ، فَهُوَ
مَعْلُومٌ ظَاهِرٌ

أُضْمِرَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَيْنَ وَحَفَدَةً﴾ فَلَمْ يَقُلْ مِثْلًا: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ...) جَرِيًّا عَلَى مَقْتَضَى الظَّاهِرِ، إِذِ الْمَقَامُ مَقَامُ إِضْمَارٍ لَا إِظْهَارٍ، وَلِمُرَاعَاةِ السَّبْكِ فِي الْجُمْلَةِ، فَكَأَنَّ الثَّانِيَةَ مَتَوَلِّدَةٌ عَنِ الْأُولَى وَمُتَرَتِّبَةٌ عَلَيْهَا، فَلَا يُتَصَوَّرُ وَجُودُ الْبَنِينَ وَالْحَفَدَةِ بَدُونِ وَجُودِ الْآبَاءِ، فَلَأَجْلِ ذَلِكَ سِيقَتْ الْجُمْلَتَانِ مَسَاقَ الْجُمْلَةِ الْوَاحِدَةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 210 / 11.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 586 / 4.

دلالة اللَّام في قوله ﴿لَكُمْ﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ هي لتعدي فعل ﴿وَجَعَلَ﴾ إلى مفعول به ثانٍ⁽¹⁾، ويجوز فيها كذلك أن تكون للاختصاص والتعليل؛ أي: خلق الله البنين والحفدة لأجلكم؛ أي: لأجل أن يتم اجتماعكم، وتآلفكم، ثم ما يكون من هذا الاجتماع والتآلف من ثمرات طيبة⁽²⁾.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾:

قدّم شبه الجملة ﴿لَكُمْ﴾ على المفعول به ﴿بَنِينَ﴾ وغيره من مُتعلّقات الفعل؛ لأنَّ المقصود من ذكر جعل (البَنِينَ) نِعْمًا منه سبحانه على النَّاس هو تنعيمهم بها، لا كونها مجعولة ومخلوقة.

دلالة ﴿مِّنْ﴾ في قوله ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾:

معنى ﴿مِّنْ﴾ الدّاخلة على ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾ للابتداء، أي: جعل لكم بنين منحدرين من أزواجكم؛ لأنَّهم مبدأ الأولاد، فابتداء البنين يكون من الأزواج، وما من الله به على النَّاس ممّا يكون بينهم وبين أزواجهم؛ فلهذا دخل ﴿مِّنْ﴾ على ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾ بمعنى الابتداء⁽³⁾.

سرّ الإضافة في قوله ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾:

أضيف الأزواج إلى ضمير المخاطبين في قوله تعالى: ﴿أَزْوَاجِكُمْ﴾؛ لأنَّ جعل البنين للإنسان نعمةً، وجعل كونهم من زوجة نعمةً أخرى؛ لأنَّ بها تحقّق كونهم أبناءً بالنسبة للذكر ودوام اتّصالهم به بالنسبة، ووجود المشارك له في القيام بتدبير أمرهم في حالة ضعفهم⁽⁴⁾.

امتنان الله
بخلق البنين
والحفدة لأجل
الإنسان

فائدة التّقديم
في إظهار
التّنعيم

معرفة ابتداء
النّعم معيّنة
على تدبّر وشكر
النّعم

نعمة تُضاف إلى
نعمةٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217 / 14.

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 329 / 7.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 217 / 14.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 218 / 14.

نكتة الإظهار في قوله: ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾:

إظهار لإزالة اللبس

أظهر (الأزواج) من قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ في مقام الإضمار، فلم يُقَلْ: (منها)؛ لاحتمال عود الضمير إلى الأنفس بدلاً من الأزواج، فيفسد المعنى، ويكون: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أنفسكم بنين وحفدة، فيكون آخر الآية منادياً على أولها بالبطلان، ويكون جعل البنين والحفدة ليس محتاجاً إلى وجود الأزواج، وفي هذا إفسادٌ للمعنى، وتعارضٌ بين نعمة جعل الأزواج وجعلهم سبباً وسبيلاً للبنين والحفدة، وجعل البنين والحفدة بغير أزواج، بل بمجرد الأنفس، فلما كان ذلك كذلك، أظهر في مقام الإضمار؛ ليكون صريحاً في إرادة الأزواج دون الأنفس؛ لإزالة اللبس الذي قد ينشأ عن التعبير بالضمير⁽¹⁾.

غرض تقديم ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾:

مراتب الاهتمام في ترتيب أصناف الإنعام

قدّم الجار والمجرور ﴿مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ على المفعول به ﴿بَنِينَ﴾ للاهتمام والتخصيص⁽²⁾؛ لأن الآية في سياق تعداد النعم، ولأنه سبحانه جعل للناس بنين وحفدة من أزواجهم لا من أزواج آخرين، فانضبطت سلسلة الأنساب بهذا النظام المحكم البديع⁽³⁾.

سر ذكر البنين دون البنات:

الامتنان بالمحبوب أولى من ذكر المكروه

ذكر البنون دون البنات لكراهة المخاطبين لهنّ، فلم يمتن الله تعالى عليهم إلا بما يحبونه⁽⁴⁾.

غرض تنكير ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾:

في التنكير تكثير

جاءت كلمتا ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ نكرتين في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ للتدليل على الكثرة، وهو الملائم لسياق تعداد النعم.

(1) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6 / 67.

(2) الدرر الشنية، التفسير للحرر: 13 / 510.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 218.

(4) الصاوي، حاشية على الجلالين: 2 / 320.

دلالة العطف والترتيب في ﴿بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾:

العطف في قوله تعالى: ﴿بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ يفيد كون الجميع من الأزواج، وأنهم غير البنين؛ إذ العطف يقتضي المغايرة⁽¹⁾، فهو إذاً للتَّشْبِيه على تغاير الوصفين المنزل منزلة تغاير الذات؛ وهما البنوة والحفدة، فيكون امتثاناً بإعطاء الجامع لهذين الوصفين الجليلين، فكأنه قيل: وجعل لكم منهنَّ أولاداً هم بنون، وهم حافدون؛ أي: جامعون بين هذين الأمرين⁽²⁾، وقُدِّم لفظ البنين لتخصيصه والاهتمام به؛ لأنَّ وجود أبناء بنين للرَّجُل يطمئنه بوجود مشاركٍ له في القيام بتدبير أموره ومُعِينٍ في حال الضَّعْف⁽³⁾، فُقَدِّم البنون للشَّرَف، ثُمَّ عطف الحفدة عليهم؛ لأنَّ الحفدة أعمُّ؛ فقوله تعالى: ﴿وَحَفْدَةٍ﴾ يعني: البنات والبنين، وأولادهم... إلخ⁽⁴⁾.

المعطوفات
التَّغَايِرَة تدلُّ
على تعداد نِعَمٍ
مُتَكَاثِرَة

بلغة العطف في قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ﴾:

جملة: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ وما بعدها؛ لمناسبة ما في الجُمْل المعطوف عليها من تضمُّنِ المِنَّةِ بنعمة أفراد العائلة.

تكميل نعمة
التَّزْوِيج والتَّوْلِيد
بنعمة التَّزْوِيق

الغرض من إضمار لفظ الجلالة:

أُضْمِر لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ لسوق الجملتين مساق الجملة الواحدة، واكْتَفَى بِذِكْرِ لفظ الجلالة في أوَّلها ليكون هذا الرِّزْق (رزق جعل الأزواج والبنين والحفدة، والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْق) كأنَّه رَزَقٌ واحد.

لفظ الجلالة
وإن أُضْمِر، فهو
معلومٌ ظاهر

نكتة تكرار نعمة الرِّزْق:

في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ تكرارٌ لِنِعْمَةِ الرِّزْق

تذكيرٌ بعد
تذكير، وتقرِيعٌ
للجاحدين
وتحذير

(1) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 6 / 564.

(2) الشَّهَاب، عناية القاضى: 5 / 352.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14 / 218.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 210.

المذكورة قريباً في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ لاختلاف الغرض الداعي لذكرها في كل مرة.

فائدة عطف نعمة الرِّزْق على ما تقدّمها:

لما ذَكَرَ تعالى إنعامه على عبده بالمنكوح وما فيه من المنافع والمصالح ذَكَرَ إنعامه عليهم بالمطعومات الطَّيِّبَةِ، سواءً كانت من النَّبَات؛ وهي الثَّمَار والحبوب والأشربة، أو كانت من الحيوان⁽¹⁾.

دلالة (من) في قوله ﴿مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾:

﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ تبعية؛ أي: بعض الطَّيِّبَات؛ لأنَّ كُلَّ الطَّيِّبَاتِ إنّما هي في الجنّة، وما طَيِّبَات الدُّنْيَا إلّا أنموذجٌ منها⁽²⁾، وفيه إِمَّا حٌ لطيفٌ، وهو أنّه إذا كان هذا الرِّزْق العظيم الواسع الَّذي آتاه الله تعالى عباده في الدُّنْيَا إنّما هو (بعضٌ) من الطَّيِّبَات، فكيف بكلّها؟! وكيف يكفر بعد ذلك أحد؟.

نوع (اللّام) ودلالاتها في ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هي التي لبيان الجنس، فهي شاملةٌ لكلِّ ما يندرج تحت هذا الوصف.

غرض حذف الموصوف في ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾:

﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ دلٌّ عليه فعل ﴿وَرَزَقَكُمْ﴾؛ أي: الأرزاق الطَّيِّبَات⁽³⁾، وفي هذا ما فيه من بلاغة الإيجاز بالحذف، وهذا الإيجاز جعل الصِّفة كأنّها هي المفعول به مبالغةً في تعظيمها.

دلالة موقع قوله ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ عن سابقه كونه

بيان توالي
الإنعام على
العباد، بالرِّزْق
والأزواج والأولاد

الكفر ببعض
النعم في الدنيا
سبباً لحرمان
مِن النعم كلّها
في الجنّة

الرِّزْق الطَّيِّب
لعباد ما
تستطيعه
نفسه، ولآخر ما
يستطيعه سرّه

فضل الله
وكرمه في الرِّزْق
بالطَّيِّبَات

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 245/20.

(2) الزمخشري، الكشاف: 620/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 219/14.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 219/14.

التَّبَايُنَ بَيْنَ
الإِيمَانِ بِالْبَاطِلِ
وَكُفْرِ النِّعْمَةِ
بِنَاسِبِهِ تَبَايُنٌ
بَيْنَ الْخَيْرِ
وَالْإِنْشَاءِ

تَوْبِيخُ الْكُفَّارِ
وَاسْتِنْكَارُ
إِيمَانِهِم بِالْبَاطِلِ
مَعَ أَنَّ الْوَاجِبَ
الْكُفْرَ بِهِ

التَّوْبِيخُ عَلَى
الْكُفْرِ بِالنِّعْمَةِ،
وَإِلِيمَانِ
بِالْبَاطِلِ بَعْدَ
تَعَدُّدِ النِّعَمِ

إِيمَانُ الْكُفَّارِ
بِالْبَاطِلِ لَصِيقٌ،
وَهُوَ بِكُلِّ ذِمَّةٍ
حَقِيقٌ

استفهاماً قُصِدَ بِهِ التَّشْنِيعُ وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِمْ، فَهُوَ إِنْشَاءٌ، أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فَهُوَ خَبَرٌ، وَهَذَا هُوَ مَا أَوْجَبَ الْفَصْلَ بَيْنَ الْجَمْلَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ كَمَالِ الْإِنْقِطَاعِ⁽¹⁾؛ أَي: التَّبَايُنِ خَبَرًا وَإِنْشَاءً.

بِلَاغَةُ الْاسْتِفْهَامِ ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ وَغَرَضُهُ:

جَاءَ الْاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ لِلتَّوْبِيخِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِالْبَاطِلِ الْبَيِّنِّ وَاسْتِنْكَارِ ذَلِكَ، فَتَفْرِيعُ التَّوْبِيخِ عَلَيْهِ وَاضِحٌ الْإِتِّجَاهُ، فَالْاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ؛ أَي: لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ⁽²⁾.

غَرَضُ الْحَذْفِ فِي ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾:

الْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ دَخَلَتْ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَحْذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَبْعَدَ عِلْمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ بَنِينَ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنْ بَنِيهِمْ حَفَدَةً؛ أَبْعَدَ كُلَّ هَذَا يَكْفُرُونَ بِهِ، فَيُؤْمِنُونَ بِالْبَاطِلِ⁽³⁾؟!، وَدَلَّ الْحَذْفُ عَلَى عَدَمِ عِلْمِهِمْ؛ تَنْزِيلًا لِمَنْ لَا يَعْمَلُ بِمَوْجِبِ الْعِلْمِ مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ.

دَلَالَةُ الْبَاءِ فِي ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾:

الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ بِمَعْنَى الْإِلْصَاقِ، وَهُوَ اللَّازِمُ لِمَعْنَاهَا⁽⁴⁾، وَقَدْ أَفَادَتْ أَنَّ إِيْمَانَ الْقَوْمِ تَعَرَّى عَنْ كُلِّ حَقٍّ حَقِيقٍ بِالْإِيْمَانِ بِهِ، وَجَعَلُوهُ مَلْصَقًا بِذَنْبِ الْبَاطِلِ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، فِي صَلَفٍ وَإِصْرَارٍ، وَعِنَادٍ وَاسْتِكْبَارٍ.

(1) عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص: 164.

(2) الخازن، لباب التأويل: 3/ 89، والطَّيْبِيُّ، فتوح الغيب: 9/ 162.

(3) درويش، إعراب القرآن: 5/ 336.

(4) ابن يعيش، اللُّفْظُ: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

نوع (اللام) في ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾:

(اللام) في قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ هي الجنسية التي يصحُّ معها استبدال لفظ (كل) بها، فكأنَّهم آمنوا بكلِّ ما هو باطلٌ، وكفروا بكلِّ ما هو حقٌّ.

دلالة التعبير بالمضارع في ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

جاء بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ للدلالة على التَّجَدُّد والتَّكْرير⁽¹⁾، فكأنَّ القوم كلَّما نَجَمَ لهم باطلٌ قاموا حوله رُكْعًا وسجودًا.

غرض تقديم ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾:

قدَّم شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ على الفعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ للاهتمام بالتَّعْرِيف بباطلهم⁽²⁾، وللإشارة إلى أنَّهم لا يؤمنون إلَّا بالباطل، ولا يؤمنون بحقِّ قطُّ⁽³⁾، وكأنَّ الباطل شيءٌ معلومٌ مُسْتَقَيَّنٌ⁽⁴⁾، وفائدة التَّقديم إيهام التَّخصيص مُبالغةً⁽⁵⁾؛ لأنَّ المقصود بالإنكار الذي سيق له الكلام تعلق اعتقادهم بالباطل لا مُطلق الإيمان به⁽⁶⁾.

دلالة العطف في ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهِ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ معطوفٌ على جملة التَّوْبِيخ، وهو توبيخٌ متوجِّه على ما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ إلى قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من الامتنان بذلك الخلق والرزق بعد كونهما دليلًا على انفراد الله بالالهيَّة⁽⁷⁾، فلمَّا اتَّحدت الجملتان إنشَاءً، وكانت بينهما هذه المناسبة

يُؤْمِنُونَ
الجاحدون بكلِّ
باطلٍ لبطادته،
ويُعرضون عن
الحقِّ رغم بيانه

كلَّما نَجَمَ للقوم
باطلٌ طاروا به
فرحين، وظنَّ
أعناقهم له
خاضعين

خلط الجاحدون
الباطل بدمائهم
حتى جعلوه
محطَّ إيمانهم

مَنْ آمَنَ بالباطل
العقيم كفر
بنعمة الله
العظيم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 221 / 14.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 220 / 14.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4220 / 8، والطبي، فتوح الغيب: 162 / 9.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 656 / 6.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 234 / 3.

(6) الشَّهاب، غناية القاضي: 352 / 5.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 220 / 14.

الثَّامَّةُ، وليس ثمَّ ما يقتضي الفصل بينهما جيء بالوصل لما بين الجملتين من شبه كمال الاتصال.

دلالة الباء في ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ﴾:

جاءت الباء في قوله تعالى: ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بمعنى الإلصاق، وهو اللازم لمعناها⁽¹⁾.

سرُّ إفراد النعمة:

في قوله تعالى: ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ جاءت كلمة (نِعْمَةٍ) نكرةً مع أنَّ نِعَمَ الله تعالى على المخاطبين كثيرةٌ لا تحصى، لإرادة الجنس، فالمراد بنعمة الله: عموم النعم التي أنعم الله بها عليهم، والتي لا تُعدُّ ولا تُحصى⁽²⁾.

سرُّ الإضافة في قوله: ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ﴾:

إضافة النعمة إلى لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ﴾ أفادت تعظيم هذه النعمة وتشريفها.

غرض تقديم ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ﴾:

أفاد تقديم شبه الجملة ﴿وَبِئَعَمَتِ اللَّهُ﴾ على الفعل ﴿يَكْفُرُونَ﴾ تأكيد كفرهم بالنعمة⁽³⁾، كما أنَّ غرض التقديم هنا هو كون المقدم محطَّ الإنكار، إذ إنَّ نعمة الله تعالى حقيقةً بأنَّ تُعْظَمَ ويُعْظَمَ خالقها وموليتها ﷻ، فكيف بعد هذا كله يُكْفَرُ بها؟! كما أفاد هذا التقديم إيهام الاختصاص مبالغةً؛ لأنَّ المقام ليس بمقام تخصيص حقيقة؛ إذ لا اختصاص لإيمانهم بالباطل، ولا لكفرانهم بنعم الله⁽⁴⁾، ثمَّ إنَّه قد أفاد الرعاية على الفاصلة⁽⁵⁾.

ألصقوا الإلحاد
بالنعم فما
تأتيهم من
نعمةٍ إلا كانوا
بها يحدون

عزَّ عن النعم
التي ليس لها
حدُّ بلفظ المفرد
لتنزيله منزل
الجمع

الإضافة إلى
العظيم
تفيد الإجلال
والتعظيم

محطَّ الإنكار
مقابلة النعمة
بالكفر

(1) ابن يعيش، الفضل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

(2) طنطاوي، الوسيط: 8/ 197.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4220.

(4) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 6/ 68، والشَّهاب، عناية القاضى: 5/ 352.

(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 234.

فائدة التعبير بضمير الفصل ﴿هُم﴾:

كفران النعمة
أخفى من
الإيمان بالباطل

جاء بضمير الفصل ﴿هُم﴾ بين ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾، و﴿يَكْفُرُونَ﴾ لتأكيد الحكم بكفرانهم النعمة؛ لأن كفران النعمة أخفى من الإيمان بالباطل، لأن الكفران يتعلّق بحالات القلب، فاجتمع في هذه الجملة تأكيدان: التأكيد الذي أفاده التّقديم، والتأكيد الذي أفاده ضمير الفصل⁽¹⁾، كما أنّه أفاد التّقوية المعاضدة للتّوبيخ والإنكار بالهمزة الواردة على فاء التّعقيب؛ أي: أبعد وضوح دلائل بطلان ما يعتقدونه يؤمنون بذلك الباطل⁽²⁾، ويجوز أن يكون لإيهام التّخصيص مبالغة⁽³⁾.

وتقديم ضمير الفصل ﴿هُم﴾ على الفعل ﴿يَكْفُرُونَ﴾ قد أفاد - إلى جانب ما تقدّم - المحافظة على فواصل الآيات⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالمضارع ﴿يَكْفُرُونَ﴾:

بتجدّد الإنعام
على الأنعام
بتجدّد جحود
اللّئام

جاء بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ للدلالة على التّجدّد والتّكرير⁽⁵⁾، ففيه إشعار بأن كفرهم بالنّعم مستمرّ، وإنكارهم لها لا ينقطع؛ لأنّهم استحوذ عليهم الشّيطان فأنسأهم ذكر الله⁽⁶⁾.

بلغة الطّباق بين ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿يَكْفُرُونَ﴾:

ما أقبح
القوم وأقبح
تناقضهم،
يجحدون
الحقّ الأبلج،
ويعبدون
الباطل اللّجج

وفي الجمع بين ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿يَكْفُرُونَ﴾ محسنٌ بديع الطّباق⁽⁷⁾، وقد جاء به هنا لبيان مدى تناقض القوم، ومدى سوء أدبهم في تعاطيهم مع نعمة ربّهم ﷻ، وهكذا أثرى الطّباق السّياق، وأجلى الصّورة، وأكّد المعنى ووضّحه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 220 / 14.

(2) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 68 / 6.

(3) البضاوي، أنوار التنزيل: 234 / 3.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 221 / 14.

(5) طنطاوي، الوسيط: 197 / 8.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 221 / 14.

بلادة توجيهه التشابه اللفظي مع آية سورة العنكبوت:

الحاصل أن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اتَّصل بما قبله من الخطاب، ثم عاد إلى الغيبة فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، فكان لا بُدَّ من تقييده بـ ﴿هُمْ﴾؛ لئلا تلتبس الغيبة بالخطاب والتاء بالياء، أمّا ما كان في العنكبوت فقد اتَّصل بآيات استمرّت على الغيبة فيها كلّها فلم يُحتج إلى تقييده بالضّمير⁽¹⁾.

❖ الفروق المُعْجِمة:

الْجَعْلُ وَالْخَلْقُ وَالْبَزْءُ وَالذَّرْءُ وَالْإِنْشَاءُ:

الفرق بين خَلَقَ وَجَعَلَ الذي له مفعول واحد: أَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ مَعْنَى التَّقْدِيرَ وَالتَّسْوِيَةَ، وَفِي الْجَعْلِ مَعْنَى التَّضْمِينَ، كإِنْشَاءِ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ تَصْيِيرِ شَيْءٍ شَيْئًا، أَوْ نَقْلِهِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؛ فَالْجَعْلُ فِيهِ مَعْنَى التَّعْلُقِ وَالْإِرْتِبَاطِ بِالْغَيْرِ بِأَنْ يَكُونَ فِيهِ أَوْ مِنْهُ أَوْ إِلَيْهِ، لَا بِأَنْ يَصِيرَ إِيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ مَعْنَى آخِرٍ لِلْجَعْلِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ⁽²⁾.
أَمَّا الْبَرءُ فَأَصْلُهُ خُلُوصُ الشَّيْءِ وَانْفِصَالُهُ عَنْ غَيْرِهِ، إِمَّا عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِي، كَمَا فِي: بَرَأَ الْمَرِيضُ مِنْ مَرَضِهِ وَالْمَدْيُونُ مِنْ دَيْنِهِ، أَوْ الْإِنْشَاءِ كَمَا فِي بَرَأَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الطَّيْنِ؛ أَي: خَلَقَهُ ابْتِدَاءً مَتَمِّيزًا عَنْ لَوْثِ الطَّيْنِ⁽³⁾.

وَالْبَرءُ: أَخْصُ مِنَ الْخَلْقِ، وَلِلأَوَّلِ اخْتِصَاصٌ بِخَلْقِ الْحَيَوَانِ، وَقَلَمًا يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِ، كَمَا فِي: بَرَأَ اللَّهُ النَّسَمَةَ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ⁽⁴⁾.

قِيَّدت آية
النحل بضمير
الفصل للغائب
لئلا يلتبس مع
الخطاب

الْجَعْلُ
فِيهِ مَعْنَى
التَّضْمِينَ،
وَفِي الْخَلْقِ
مَعْنَى التَّقْدِيرِ
وَالْتَّسْوِيَةِ، وَفِي
الْبَرءِ مَعْنَى
تَمْيِيزِ الْخَلْقِ،
وَفِي الذَّرْءِ
مَعْنَى الْإِظْهَارِ،
وَالْإِنْشَاءِ ابْتِدَاءً
الْخَلْقِ

(1) الكرمانى، أسرار التكرار، ص 162.

(2) الرمخشى، الكشاف: 2/ 3، والبيضاوى، أنوار التنزيل: 2/ 153، وأبو البقاء الكفوى، الكليات، ص: 430.

(3) البيضاوى، أنوار التنزيل: 1/ 81، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/ 102، والراغب، المفردات: (برأ)، والكليات، الكفوى، ص: 231.

(4) ابن منظور، اللسان، والزبيدي، تاج العروس: (برأ).

وَأَمَّا الذَّرَّةُ فَأَصْلُهُ الْإِظْهَارُ؛ فَهُوَ إِظْهَارُ مَا أَبْدَاهُ اللَّهُ ﷻ، وَمَعْنَى ذَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ:
 أَظْهَرَهُمْ بِالْإِيجَادِ بَعْدَ الْعَدَمِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْبَيَاضِ: الذَّرَّةُ؛ لظهوره وشهرته⁽¹⁾.
 وَأَمَّا الْإِنْشَاءُ فَهُوَ ابْتِدَاءُ الْخَلْقِ، وَالْإِنْشَاءُ الْإِخْتِرَاعِيُّ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ بِمِثَالٍ لَا يَلِيقُ إِلَّا
 بِالْبَارِئِ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ [الأنعام: 98]⁽²⁾.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 138، والراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: (ذراً).

(2) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (نشأ).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-24-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»